



لقد خلق الله الإنسان بقدر كافٍ من الوعي بذاته وبما يحيط من حوله؛ وبالتالي فهو مسؤول عن الصورة التي ترتسם في ذهنه المستقبلي، ومن بين الكثير من جوانب الحياة المختلفة والمتنوعة، فهو يتمتع بقدر كافٍ من حرية الاختيار؛ إما أن يختار الحزن وإنما أن يختار الأمل، وهناك حيز كبير بين الأمور التي تحدث وبين مقدار استجابته لها وفي هذا الحيز تكمن حرية إزاء استجابته للأمور.

ومن خلال تلك الاختيارات يظهر مدى ومقدار تطور الفرد خلال مراحل الحياة، ولابد للمرء أن يعي أن من أهم الأمور هو كيفية استجابته لما يحدث في هذه الحياة.

أيها الإنسان الحر... لا تحاول أن تتخلى عن دورك لأحد غيرك، ولا تحاول أن تترك مضمارك لأناس آخرين، ولا تدع لليلأس طريقاً إليك، بل تحسّس مواطن ضعفك، وتعرف على مكان النقص الموجودة لديك، فلا حياة مع اليأس ولا يأس مع الحياة.اكتشف السر الذي يكمن في أعماقك، واقرأ اللغة التي تدور في داخلك، واعرف مدى تأثيرها عليك، وانظر إلى أحلامك وأهدافك كأنها حقيقة تراها بأم عينك، واعرف أين أنت الآن وإلى أين ستتجه وأين هو هدفك؟
ابداً والنهايةُ في مخيلتك؛ وتيقن أن البداية تبدأ من الفكرة. لاحظ أفكارك لأنها ستصبح كلمات.. ولاحظ كلماتك فهي ستصبح أفعالاً.. ثم لاحظ أفعالك لأنها ستحدد مصيرك.

إن من أهم الخواص التي خص الله بها ابن آدم التفكير، وإن القدرة على الفهم والتفكير هي الأساس الذي عليه الحساب يوم القيمة، ولذا فالمحجون غير مكلف وغير محاسب لأنه ليس لديه القدرة على التفكير.

فالتفكير مصدر العلم والعلم مصدر لتعديل سلوك الإنسان لذلك اختلف سلوك الإنسان عن سلوك الحيوان الذي لا يتغير ولا يتتطور، وكلما زادت معرفة الإنسان بالأشياء تغيرت نظرته إليها واحتلت ظروف الاستفادة منها.

وللتصور أهمية كبيرة في إدراك الإنسان لوجوده النفسي المستمر، فمن خلال التفكير يدرك الإنسان إنسانيته ويدرك كيفية المحافظة على وجوده وطرق تكيفه مع متغيرات البيئة التي يعيش فيها وابتداره أساليب جديدة للتعامل معها.

إن قدرة الإنسان على التصور والتخييل تجعله يتخطى حدود الحاضر إلى المستقبل، وقد يبني الإنسان سجناً من أفكاره وتصوراته ويمضي عمره قابعاً في وهمه ومستسلماً لباسه خلف أسوار الخوف وضمن معسكر الهزيمة الخاص به؛ فنحن جميعاً، بني الإنسان، أحراز في اختيار توجهنا الذهني تجاه ما يحدث لنا، وذلك من خلال إعادة تشكيل أنماط تفكيرنا وكسر الجمود الذي يعترى نفوسنا، ومن ثم العثور على المفتاح وفتح باب سجن أنفسنا، فهذا الذي يقودنا إلى بوابة الحرية وإلى الروابط العميقة لحياتنا وحياة الآخرين.

فرؤية الحياة بأنها ذات قيمة ومعنى يتطلب تحولاً في الوعي وتغييراً في الإطار الفكري. وسواءً اخترنا مسار التحرر أم لا فهو قرار نحن فقط من يستطيع اتخاذه، ونحن من نتحمل مسؤوليته، وعندما نبحث ونكتشف المعنى الحقيقي لوجودنا سنكتشف أن الحياة ليست شيئاً يحدث لنا بل نحن من يسير الحياة ونحن من نجعلها ذات معنى.

وقد يستطيع الإنسان أن يتجاوز بؤس الموقف إلى إمكانية اكتشاف المعنى وراءه، ومن ثم تحويل ما قد يبدو معاناة وبلا معنى إلى إنجاز إنساني حقيقي.

إن الأفكار كأشعة الشمس تبدد الظلمة المتراكمة على كاهل النفس البشرية، وتبث الدفء والحياة في المفاهيم المتجمدة، وتبعث شعلة الروح في جسد الأمة النائمة، وتدعوا للنهوض نحو غِدٍ مشرق يسطع في جبين الزمان.

المصادر: